

روح المعاني

فيه الميل بمقتضى الطبيعة وحكم القوة الشهوية ثم أنه لا ينافي عفتها بل يحققها لكونه طبيعيا اضطراريا غير داخل تحت التكليف كما قيل في قوله تعالى وهم بها ومع هذا قد استعاذ يوسف عليه السلام بما حكى الله تعالى عنه من قوله تعالى قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي فدعوى أن الاستعانة تكذب التهيج والميل الطبيعي كذب والقول بأنه يأبى ذلك مقام بيان آثار القدرة للعادة ليس بشيء لأن خلق الإنسان من ماء واحد أثر من آثار القدرة الخارقة للعادة أيضا .

والأسباب في هذا المقام ليست بمرفوضة بالكلية كما يرشد إلى ذلك قصة يحيى عليه السلام على أنه قد يدعى أن خلق شيء لا من شيء أصلا محال فلا يكون من مراتب القدرة ومادة الجعل الابداعي الأعيان الثابتة وهي قديمة اله ولا يخلو عن بحث وما ذكرناه في التعليل أسلم من القول والقليل فتدبر ونصب بشرا على الحالية المقدرة أو التمييز وقيل على المفعولية بتضمين تمثيل معنى اتخذ واستشكل أمر هذا التمثيل بأن جبريل عليه السلام شخص عظيم الجثة حسبما نطقت به الأخبار فمتى صار في مقدار جثة الإنسان يلزم أن لا يبقى جبريل أن تساقط الأجزاء الزائدة على جثة الانسان وأن تتداخل الأجزاء إن لم يذهب شيء وهو محال وأيضا لو جاز التمثيل ارتفع الوثوق وامتنع القطع بأن هذا الشخص الذي يرى الآن هو زيد الذي رئي أمس لاحتمال التمثيل وأيضا لو جاز التمثيل بصورة الإنسان فلم لا يجوز تمثله بصورة أخرى غير صورة الإنسان ومن ذلك البعوض ونحوه ومعلوم أن كل مذهب يجر إلى ذلك فهو باطل وأيضا لو جاز ذلك ارتفع الوثوق بالخبر المتواتر كخبر مقاتلة النبي E يوم بدر لجواز أن يكون المقاتل المتمثل به وأجيب عن الأول بأنه لا يمتنع أن يكون لجبريل عليه السلام أجزاء أصلية قليلة وأجزاء فاضلة فبالأجزاء الأصلية يكون متمكنا من التمثيل بشرا هذا عند القائلين بأنه جسم وأما عند القائلين بأنه روحاني فلا استبعاد في أن يتدرع تارة بالهيكل العظيم وأخرى بالهيكل الصغير وعن الثاني بأنه مشترك الإلزام بين الكل فإن من اعترف بالصانع القادر يلزمه ذلك أيضا إذ يجوز أن يخلق سبحانه مثل زيد مثلا ومع هذا الجواز يرتفع الوثوق ويمتنع القطع على طرز ما تقدم وكذا من لم يعترف وأسند الحوادث إلى الاتصالات والتشكلات الفلكية يلزمه ذلك لجواز حدوث اتصال يقتضي حدوث مثل ذلك وحينئذ يمتنع القطع أيضا ولعله لما كان مثل ذلك نادرا لم يلزم منه قدح في العلوم العادية المستندة إلى الإحساس فلا يلزم الشك في أن زيدا الذي نشاهده الآن هو الذي شاهدناه بالأمس .

وأجيب عن الثالث بأن أصل التجويز قائم في العقل وإنما عرف فساده بدلائل السمع وهو

الجواب عن الرابع كذا قال الإمام الرازي وعندي أن مسألة التمثل على القول بالجسمية مما ينبغي تفويض الأمر فيها إلى علام الغيوب ولا سبيل للعقل إلى الجزم فيها بشيء تنشرح له القلوب وإنما ذكرته تعالى بعنوان الرحمانية تذكيرا لمن رأت به بالرحمة ليرحم ضعفها وعجزها عن دفعه أو مبالغة للعبادة به تعالى واستجلابا لآثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة مما دهمها وما قيل من أن ذلك تذكير لمن رأت بالجزاء لينزجر فإنه يقال يارحمن الآخرة ليس بشيء لأنه ورد رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما إن كنت تقيا 81 شرط جواب محذوف ثقة بدلالة السياق عليه أي إن كان يرجى منك أن تتقي الله تعالى وتخشاه وتحترف بالاستعاذة به فإني عائدة به منك كذا قدره الزمخشري